**الأثار النفسية السلوكية المترتبة عن العنف ضد المراهق في الوسط المدرسي**

**دراسة عيادية**

إن إيذاء الأطفال والمراهقين ،قد لا يكون بالضرورة ظاهرة حديثة من حيث وجوده في المجتمعات المختلفة، ولكن قد يكون الإعلام عنه وتحديد مسمى له هو الجديد، كما قد يكون النظر إليه كظاهرة بحاجة إلى الاهتمام والبحث عن السبل لمواجهتها حديثا أيضا، وليس هناك حتى الآن اتفاق على ماهيته إن كان يعد مشكلة أو قضية أو ظاهرة وخاصة في الجزائر .

وتعد ظاهرة سوء معاملة الأطفال مشكلة عالمية تعاني منها العديد من المجتمعات الإنسانية، مما جعلها محور العديد من الاهتمامات البحثية في العديد من التخصصات مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية والطب والقانون.(www.gulfkids.com)

ونظرا لتعدد أنماط هذه الظاهرة واختلاف أسبابها فلها من السعة ما يصعب الإلمام بها من جميع الجوانب، كما انه يصعب إيجاد تفسيرات محددة عامة لكافة أنماطها، فسوء معاملة الأطفال أو ما يسمى ب child abuse يختلف من مجتمع لأخر وفقا للثقافة السائدة في كل مجتمع، كما انه يختلف باختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأساليب التربية في ذلك المجتمع .(منيرة آل سعود.2005.ص 9).

تعتبر مشكلة إيذاء الأطفال والمراهقين أو سوء معاملتهم من المشكلات التي تجاوزت الحدود من الناحية النفسية ومع أن بعض أشكال سوء معاملة مرتبط ثقافيا واجتماعيا ببعض الممارسات والمعتقدات وأساليب التنشئة الخاطئة، والتي يخلط فيها بين أساليب التربية والتأديب، وسوء المعاملة مما يجعل بعض هذه الجرائم مختفية ومقبولة اجتماعيا كالزواج من القاصرات أو العقاب البدني الشديد للطفل ولأسباب مختلفة أهمها افتقار المجتمع للثقافة النفسية وسيكولوجية المعاملة وسيكولوجية الطفولة والمراهقة وأيضا ما هو اجتماعي ومنها ما هو سياسي .و لا تظهر جرائم سوء معاملة الطفل في الكثير من الإحصاءات الرسمية للدولة، نظرا لارتباط سوء المعاملة الجسدي كثيرا بالمعتقدات الاجتماعية الخاطئة للتربية.

لا شك أن التعريف الواضح لإساءة معاملة الطفل والمراهق (العنف الموجه نحوه)، يمكن الباحثين من تحديد معدلات انتشار مشكلة إساءة معاملة الأطفال ،ومع ذلك لا يعرف على وجه الدقة الحجم الحقيقي لظاهرة ،على الرغم من المحاولات الجادة التي تبذلها المؤسسات المهتمة، وكذلك الجهود التي يبذلها الباحثون المهتمون بدراسة هذه الظاهرة للوصول إلى مثل هذه التعريفات .

وبمراجعة أدبيات مجال سوء معاملة الطفل والمراهق وجد أن مجلة النمو ومجلة علم النفس المرضي خصصت عددا كاملا من إصداراتها لمناقشة القضايا المتعلقة بسوء المعاملة الانفعالية والإهمال، وأجمعت كل الدراسات الواردة في هذا الإصدار على أن تعريف الإساءة الانفعالية يقتضي التركيز على طبيعة وخصائص سوء المعاملة والسلوكات الدالة عليها أكثر من التركيز على الضرر أو الأذى الذي يلحق بضحايا التعرض لها .(بروس بيري.2001.ص5)

وتتضمن سوء المعاملة عدد من أشكال الإساءة أو العنف الجسدي أو المعاملة السيئة العاطفية أو العنف الجنسي أو المعاملة بالإهمال والعنف أللفضي.

وقد تتداخل أنواع العنف أو الإيذاء الموجه نحو الطفل والمراق بعضها ببعض، بحيث قد يتعرضون للإيذاء بعدة طرق سواء كان ذلك في احيانا أو بتكراره بشكل متتابع ،وقد أظهرت إحدى الدراسات المسحية لسبع وخمسين أسرة في إحدى الدول العربية أن الإيذاء البدني لا يحدث بمفرده ،بل يحدث بالتزامن مع الإيذاء الجنسي والإيذاء النفسي و أللفضي .

يقصد بإيذاء الطفل والمراهق أي سلوك متعمد ومتكرر يصدر من قبل الوالدين أو المربين أو آخرين محيطين به، ويتسبب في إحداث أي نوع من الأذى أو الضرر سواء بدنيا أو نفسيا أو جنسيا على الطفل، يخلق لديه أو يدفعه إلى ارتكاب سلوكات عدوانية مختلفة اتجاه الآخرين .(adam and all.1996.p 25) .

وهناك عدة أشكال للعنف الموجه ضد الطفل منها :

* العنف البدني physical abuse :

يعرف بأنه إيذاء أو عنف أو إهمال بدني متعمد، أو توجيه ضرر مادي كالضرب أو الحرق والحرمان المادي كالربط والحبس.

كما يعرف بأنه الأذى الفعلي أو المحتمل وقوعه على الطفل،والمراهق أو التهاون في منع حدوث الألم عنه بالإضافة إلى تسميمه عمدا، كما يعرف الإيذاء أو الإساءة الجسدية على انها كل سلوك ينتج عنه أذى جسدي فعلي أو كامن خلال حدوث التفاعل أو ضعف في التفاعل من المتوقع أن يكون تحت سيطرة احد والديه أو معلمه أو شخص موضع سلطة (منيرة آل سعود.2005.ص28).

* العنف الجنسي sexual abuse :

يعرف العنف أو الاستغلال الجنسي للطفل والمراهق بشكل عام بأنه أي اتصال قسري أو حيلي أو متلاعب مع الطفل، من خلال شخص اكبر منه سنا بغرض تحقيق الإشباع الجنسي أو إلحاق ضرر.

كما يعرف العنف الجنسي بأنه توريط الطفل في نشاطات جنسية لا يستوعبها كليا وغير مهيأ لها و غير قادر على التعبير عن قبولها أو رفضها، وتكون مخالفة للقوانين ومرفوضة ثقافيا واجتماعيا (رباب واخرون.2004.ص4).

* العنف الانفعالي emotional abuse :

هو تقصير راعي الطفل والمراهق في توفير بيئة نمائية سليمة ،يتوفر فيها وجود رمز أساسي، يرتبط به الطفل ارتباطا عاطفيا لضمان نمو مستقر له ،ضمن علاقة مسؤولية أو ثقة أو سلطة، ويسمح للطفل بتطوير قدراته الاجتماعية والعاطفية التي تتفق مع قدراته الشخصية ومحيط البيئة التي يعيش فيها، ويؤدي هذا القصور إلى أذى في تطور الطفل الصحي و الجسدي والعقلي والعاطفي والمدرسي والأخلاقي، كما يتضمن الأذى العنف الانفعالي كتقييد حرية الطفل والتقليل من شانه.

الإهمال Negligence :

يعد الإهمال بالنسبة للطفل والمراهق اكبر مهدد اجتماعي، من سوء المعاملة .حيث قد يؤدي إلى الوفاة، ويشمل الإهمال عدم تامين حاجات الطفل النمائية الأساسية كالغذاء، الصحة، التعليم، التطور العاطفي، المسكن، الطرد من المنزل والظروف الحياتية الآمنة في سياق قدرتهم على ذلك مما يؤدي إلى حدوث أذى للطفل في صحته أو تطوره الجسدي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي، يشمل ذلك الإخفاق في الرقابة المناسبة وحماية الطفل من الأذى كلما كان ذلك .(احمد الشهري.2006.ص ص 15.17).

إضافة إلى ما تم عرضه من الأشكال المختلفة من معاملة الطفل المولدة للعنف والعدوانية لديه، التي قد تكون موجهة نحو ذاته مرة ونحو الآخرين مرة أخرى، نجد أن الرفض، الاحتقار، التخويف، المتاجرة بأجسام الأطفال تحت ضغط التهديد أو التخدير مما شجع انتشار دعارة الأطفال من صغار السن من الجنسين او ظاهرة بيع أعضائهم و قتلهم .

فقد أوضحت دراسات أن العديد من الأطفال من الذين هربوا من منازلهم والذين يمارسون الدعارة ويلجئون إلى السرقة والتسول والإدمان على المخدرات، ماهي إلا رد فعل أو نتيجة لعنف موجه نحوهم من طرف الأولياء بالدرجة الأولى، والمربين والمعلمين في المدارس، حيث توصل الدارسون إلى أن استخدام الأساليب القاسية والعنيفة في التربية ،يؤدي ذلك إلى أثار سلبية على شخصية الطفل كإلغاء رغباته، وميوله وهذا ما يحول دون تحقيق ذاته، ويسبب انطوائه وانسحابه في المواقف الاجتماعية، ويولد مشاعر النقص أو كره السلطة لديه، ويترتب عليه ظهور شخصية متمردة تنزع للخروج عن قواعد السلوك المتعارف عليه كوسيلة للتنفيس، والتعويض عما تعرض له من والديه مما ينتج عنها ممارسته لسلوك عدواني اتجاه الآخرين.(منيرة أل سعود،2005،ص30).

كما أشارت نتائج عدد من الدراسات إلى أن نسبة عالية من المعلمين و الأساتذة يستخدمون العنف والإيذاء مقترن بغيره من ممارسات ضبط أو حفظ النظام داخل القسم بوصفه وسيلة لضمان فعالية هذه الممارسات كالضرب، والشتم، و اهانة التلميذ أمام أقرانه خاصة في ضوء الاختلاط في المدارس الجزائرية، كإهانة أو عقاب الذكور أمام الإناث والعكس وهو ما يخلق لديه حقد اتجاه المعلمين وارتكاب سلوكات عدوانية او التسرب الدراسي والانحراف .

**إشكالية البحث:**

السلوك أللاجتماعي نتاج لمجموعة من السكيمات والتفاعلات بين الأفراد ،أثناء مراحل التنشئة .وجاءت العديد من الدراسات في السنوات الخمس الأخيرة عن ظاهرة العنف في المدارس .الابتدائية والمتوسطة والثانوية وعلى الترتيب في التدرج في الانتشار والشدة .والاشكاليات كلها عن سبب تفشي السلوك العدواني بين التلاميذ داخل المدارس على انهم جيل صعب يحمل في جيناته العدوانية وقلة التربية وصعوبة التفاعل الايجابي .

وتقوم هذه الدراسة على رؤيا مغايرة مفادها ان الكبار بسبب افتقارهم للثقافة النفسية واستخدام العنف أسلوب للتربية والتنشئة وضرب عرض الحائط الفطرة الإنسانية والأساليب العلمية للتربية وتقويم السلوك .ومنه ترى الباحثة إن السلوك العدواني بمثابة رد فعل إذا انطلقنا من مبدآ مثير استجابة .وعليه فان المراهق الذي هو في مرحلة بين الطفولة والرشد ، بكل ما تحمله هذه المرحلة من خصائص نفسية واجتماعية وفسيولوجية .في بيئة تجهل المعاملة السيكولوجية .حتما رده عدواني من منظور جميع المقاربات النفسية \* تحليليا كبت وإسقاط وتقمص .\*سلوكيا مثير استجابة وتغذية راجعة \*.معرفيا العنف أسلوب جيد لتأكيد الذات وحمايتها –\*إنسانية تدني صورة الذات وسوء التوافق \*نسقيا عدم الشعور بالأمن والانتماء .

مما سبق نطرح التساؤل التالي :

هل المراهق الجزائري المتمدرس عنيف وعدواني ،أم أن العنف اللا مباشر والمباشر خاصة الذي يتعرض له داخل الحرم المدرسي مثير أساسي للسلوك العدواني؟ .

للإجابة علي هذا التساؤل نطرح فرضية إجرائية عامة :

المعاملة السيئة والعنيفة للمراهق مثير أساسي للاستجابة بأسلوب عدواني ومثير قوي للسلوكات السلبية لديه وبصورة أعنف.

**أدوات البحث:**

يعد جدول الملاحظة في مثل هذه البحوث ومن منظور إكلينيكي أفصل أداة لتجنب التساؤلات والاستبيان التي غالبا ما يتم على إثرها تعديل السلوك .ومنه كانت الملاحظة المباشرة والغير مباشرة أداة أساسية للبحث. وقمنا كذالك بمقابلة جماعية وفردية مع كل من المربين والمراهقين داخل الحرم المدرسي وحتى خارجه.

**مجال البحث المكاني:**

تم هذا البحث في كل من: ثانوية الحكيم سعدان ،متوسطة أبو بكر مصطفى بن رحمون،وخولة بنت الأزور بمدينة بسكرة-الجزائر -.

**مجال البحث ألزماني** :

نظرا للاهتمام الباحثة بالجانب الميداني ،والعلاج النفسي ،فكلما كانت هناك حالات للمتابعة وخاصة تلك المتعلقة بالمراهق المتمدرس .تستغل الفرصة للملاحظة والتحليل .

وبصورة أعمق بين شهر أفريل و ماي ثم سبتمبر و اكتوبر2010.

**عينة البحث:**

لم تكن العينة العددية مهمة للبحث والهدف منه ،بل كان كل الاهتمام بالسلوكات وردود الأفعال. والعينة تتمثل في الوسط الاجتماعي المتفاعل و المتواجد داخل المؤسسات التربوية المذكورة أعلاه.

جدول رصد المثير – الاستجابة –الأثر النفسي

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الأثر النفسي | الاستجابة | المثير |
| الشعور بالغيض والاحباط  -النعت السلبي والتمرد.  -فرض السيطرة و التمرد.  التسرب.  الاحباط والتمرد.  الاحباط والتمرد .العنف المادي واللفظي.  الاضطرابات السلوكية الأمراض النفسية.  جرح نرجسي والتسرب المدرسي والسلوك العدواني .  سوء توافق مدرسي ومشاكسات.  العنف بمختلف أشكاله. | -التمتمة –رفع اليد  -محاولة فرض الوجود.  -الاعتراض.  محاولة تفسير الموقف ،الرفض،العنف اللفظي وأحيانا الجسدي.  الاعتراض.  الانفعال ومحاولة الرد او التصحيح.  -الاحباط الشديد.  الرد الانفعالي الللامحدود.  التمردومحاولة تأكد الذات .  -اضطراب عام وردفعل عنيف والرفض. | -الرد بغلضة  رفض الاصغاء    -النعت العشوائي بالسلب.  -سوءالضن بالجنسين والتهديد .  -الطرد العشوائي من الحصص.  التحقير والحط من قيمة الذات.  -التشهير بالاخطاءوالزلات.  -السب والشتم امام الجنس المقابل.  المعاملة الطفولية والتحكم في جميع السلوكات.  -عدم استخدام الأساليب النفس بيداغوجية في التربية. |
|  |  |  |

**نتائج المقابلات الاكلينيكية الجماعية:**

رفض المراهق المتمدرس للمعاملة التي تتضمن الأساليب التالية :

الشتم-النعت السلبي –الضرب-الشد من الملابس- .....الخ.وأغلبية الاستجابات تتضمن رفض لأسلوب المراقبين من عنف لفظي ،طرد من الإدارة وتأجيل المصالح،عدم الإصغاء،غلق باب المؤسسة في وجه التلميذ وهو أمامه بداعي التأخير.كثرة الطرد وطلبا الولي وعدم التفهم.غياب دور الأخصائي النفسي والتربوي داخل المؤسسة.

**الاستنتاج النهائي:**

ان أسلوب المعاملة الخالي من الأسلوب النفس تربوي ،أللذي يبدو في نقص التكوين السيكولوجي للقائمين على التربية داخل الحرم المدرسي وخاصة المراقبين اللذين يرون في العنف اللفظي والجسدي أسلوبا جيدا للسيطرة على التلاميذ ،وخاصة كلمة عديم التربية مما يؤدي إلى تدخل الأسر أحيانا .والدخول في مشاكل بين الأسر والمدرسة .

وعليه فقد تحققت الفرضية.

**التوصية:**

-ان يتلقى المراقبون تكوينا ولو قصير المدى في التعامل مع المراهق.وذالك من خلال معرفة سيكولوجية المراهقة.

-تفعيل وتكثيف نشاط الاخصائيين والتربويين داخل المؤسسة التربوية:دينامية الجماعة –مسابقات تربوية –رحلات-خلية إصغاء.-

**قائمة المراجع :**

1. احمد محمد الشهري.(2006). الخصائص النفسية والعضوية للمتعرضين للإيذاء ، كلية الدراسات العليا ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض .
2. بروس دنكان بيري.(2001).ترجمة محمد السعيد أبو حلاوة. تأثيرات تعرض الأطفال لخبرات الإساءة الانفعالية في مرحلة الطفولة،أكاديمية الأطفال ضحايا الصدمات .المجلد الأول . العدد4.
3. رباب القبج .ميسون عودة(2004).إساءة وإهمال الأطفال ، طرق وأنظمة التصدي لها، المملكة الأردنية الهاشمية .
4. منيرة بنت عبد الرحمن أل سعود.(2005).إيذاء الأطفال ، أنواعه ،أسبابه،وخصائص المتعرضين له،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
5. Adam M.tomison.Joe Tucci . (1996).ترجمة محمد السعيد أبو حلاوة، الإساءة الانفعالية،القضية المهملة،الصيغة غير الظاهرة من صيغ إساءة معاملة الأطفال، الإسكندرية.
6. Diana J.english(1998). The extent and consequences of child maltreatment. egypt
7. www.gulfkids.com